المحاضرة السابعة : الملاحظة

يلجأ الباحث إلى استخدام الملاحظة دون غيرها من أدوات البحث ،وذلك إذا أراد جمع بيانات مباشرة وعلى الطبيعة عن المبحوث والمتعلقة بمشكلة البحث. فقد يخفي المبحوث بعض الانفعالات أو ردود الأفعال عن الباحث في حالة استخدام أدوات، من مثل: الاستبانة أو المقابلة ، ولكن المبحوث يخفق في حالة استخدام الباحث هذه الأداة .

والملاحظة العلمية لها مقومات متفق عليها من قبل المتخصصين في منهجية البحث العلمي.
وتتضمن هذه المقومات: تعريف الملاحظة، وأنواعها، وخطواتها، وأدواتها، ومزاياها وعيوبها، وهي على النحو التالي:

1 . تعريف الملاحظة:

الإنتباه إلى ظاهرة أو حادثة معينة أو شيئ ما بهدف الكشف عن أسبابها و قوانينها .

يقصد بالملاحظة "الانتباه المقصود والموجه نحو سلوك فردي أو جماعي معين؛ بقصد متابعته ورصد تغيراته ليتمكن الباحث من وصف السلوك فقط، أو وصفه وتحليله، أو وصفه وتقويمه".
كما تعني أيضاً معاينة منهجية لسلوك المبحوث ـ أو أكثر ـ يقوم بها الباحث مستخدماً بعض الحواس وأدوات معينة؛ بقصد رصد انفعالات المبحوث وردود فعله نحو جوانب متعلقة بمشكلة البحث، وتشخيصها وتنظيمها وإدراك العلاقات فيما بينها.

القياس هو ترجمة المفاهيم النفسية إلى مشاهدات عيانية مجسدة قابلة للملاحظة مثلا

الخوف المرضي : يمكن مشاهدته من خلال رصد سلوك التجنب لدى الفرد ، أو من خلال التقرير الذاتي بالخوف . أو القياسات الفزيولوجية لإستثارة الجهاز العصبي السمبثاوي.

الألم : و يمكن مشاهدته من خلال التقرير الذاتي عن شدة الألم ، او ملاحظة التحمل السلوكي للمنبهات المؤلمة ، أو حكم أحد الأكلينيكيين .

التعريف الإجرائي للمفهوم بطريقة تمكن من قياسه بسهولة .

منهج الملاحظة الإكلينيكية :

تشتمل الملاحظة على إختيار ، و إستثارة ، و تسجيل و تشفير أو ترميز السلوك .فيتعين على الملاحظ الإكلينيكي أولا أن يختار ما يلاحظه من أشخاص و فئات السلوك و الأحداث و المواقف و أوقات الملاحظة ، ثم يتعين عليه ثانيا أو يقرر ما إذا كان يستثير سلوك أو موقفأم ينتظر حدوث السلوك أو الموقف بصورة طبيعية . ثم ثالثا يخطط لطريقة لتسجيل الملاحظات (الذاكرة ،التسجيل السمعي البصري ، تسجيل الوظائف الفسيولوجية . و المهارة في الملاحظة الإكلينيكية أساسية في التشخيص و العلاج ، و قد تكون الأداة الوحيدة لعدم توفر المقاييس او في حالة مقاومة الأفراد للأسئلة .

شبكات الملاحظة :

تعتبر شبكة الملاحظة أداة وظيفتها إلتقاط عناصر و عمليات و أفعال من الوضعيات .

و تكون الشبكات أو لوائح التسجيل أحد طرق الملاحظة المبنية ، بحيث تسمح بطريقة منتظمة ، من تسجيل ظهور أو إختفاء سلوك معين (هذه التقنية لا تصلح إلا للسلوكات التي تفرز عددا محدودا من المتغيرات)

بناء المقياس :

أولى خطوات المشاهدة الكمية هي وضع تعريف إجرائي للسلوك المراد مشاهدته (و الهدف من هذه الخطوة هو تحديد السلوك بدرجة كافية من الدقة حتى نستطيع مشاهدته بصورة تكفل تحقيق مستوى عال من الإتساق بين المصححين فيما بعد) و يقتضي هذا في أحوال كثيرة ضرورة تحديد السلوك و تعريفه حتى يمكن تقديره من دون ان يضطر القائمون بالتقدير إلى عمل إستدلالات كبيرة .

(توجد صعوبة في تقديم تعريف واضح السلوك "إيماءات الرأس،المفاهيم التي نستدل على وجودها"الإندماج الوجداني "

– البدأ بمشاهدة كمية غير رسمية .

– إستعراض للنتاج العلمي المتوافر(التراث النظري) عن المتغير موضع إهتمامنا و المقاييس المشابهة للمقياس التي نعتمد عليها في مشاهداتنا .

– يقوم الباحث بعد ذلك بوضع صورة مبدئية من دليل الترميز و يجرب إستخدامها على بعض البيانات .

يبني جدول الملاحظة (عدد الخانات الأفقية و العمودية) تبعا لنوع المتغير (بسيط – مركب)

يصمم جدول الملاحظة لكل متغير على حدى .يصمم جدول الملاحظة لكل متغير على حدى .

– يجب على الملاحظة ان تكو ن منظمة وفق جداول و أن تكون مرتبة تبعا لأبعاد وقوع السلوك محل الملاحظة و أهم هذه الأبعاد (الزمن – التكرار – التوقيت).

– ثم مراجعتها من جديد و إختبارها و تنقيحها.(لكي يصبح نظلم الترميز صالحا للإستخدام).

– تدريب المصححين على نظام الرموز و الذين يقومون بدورهم بتجربتها على البيانات.

الشروط السيكومترية للأداة :

الصدق:يقاس عن طريق محكمين بعرض الشبكة أو الجداول في صورتها الخام ، حيث يقوم الباحث بتحديد المتغير المراد دراسته و تجزئته إلى مجموع السلوكات (المؤشرات الدالة عليه) و يتم حساب الصدق بإستخدام

معامل **لاوشي :مج نعم – مج لا / مج المحكمين .**

الثبات:يقاس بمطابقة بيانات أكثر من ملاحظين بشرط أن تتم الملاحظة لنفس العينة و في نفس التوقيت ، مع الإشارة إلى أنه كلما زاد عدد الباحثين كلما تأثرت قيمة الثبات المحصل

مثلا : في حالة ملاحظين :ث= 2 .عدد مؤشرات الملاحظين

2 . أنواع الملاحظة:

للملاحظة العلمية أنواع، تصنف إلى فئات، هي:

أ ـ أنواع الملاحظة وفق التنظيم:

- ملاحظة بسيطة، وهي غير منظمة، وتعد بمثابة استطلاع أولي للظاهرة. يفيد هذا النوع في معرفة أنواع السلوك التلقائي في مواقف طبيعية
- ملاحظة منظمة، و هي الملاحظة العلمية بالمعنى الصحيح و هي مضبوطة ضبطا علميا دقيقا وهي المخطط لها من حيث الأهداف، والمكان والزمن، والمبحوثين، والظروف، والأدوات اللازمة كالكاميرات و السمعية البصرية .بهدف جمع بيانات دقيقة عن الظاهرة .

ب ـ أنواع الملاحظة وفق دور الباحث:

- ملاحظة بالمشاركة، وهي التي يكون الباحث فيها عضواً فعلياً أو صورياً في الجماعة التي يجري عليها البحث.
- ملاحظة بدون مشاركة، وهي التي يكون الباحث فيها بمثابة المراقب الخارجي، يشاهد سلوك الجماعة دون أن يلعب دور العضو فيها.

جـ . أنواع الملاحظة وفق الهدف:

- ملاحظة محددة، وهي التي يكون لدى الباحث تصور مسبق عن نوع البيانات التي يلاحظها أو نوع السلوك الذي يراقبه.
- ملاحظة غير محددة، وهي التي لا يكون لدى الباحث تصور مسبق عن المطلوب من البيانات ذات الصلة بالسلوك الملاحظ، وإنما يقوم بدراسة مسحية؛ للتعرف على واقع معين.

د . أنواع الملاحظة وفق قرب الباحث من المبحوثين:

- ملاحظة مباشرة، وهي التي تتطلب اتصال مباشر بالمبحوثين؛ بقصد ملاحظة سلوك معين.
- ملاحظة غير مباشرة، وهي التي لا تتطلب اتصال مباشر بالمبحوثين، وإنما يكتفي الباحث بمراجعة السجلات والتقارير ذات الصلة بالسلوك المراقب للمبحوثين.

- د . أنواع الملاحظة وفق الميدان .
- ملاحظة في الطبيعة : تستعمل في العلوم الطبيعية و العلوم السلوكية.
- ملاحظة في المختبر: و يقصد بها التجريب من حيث ضبط المتغيرات المحيطة بالمتغير موضوع البحث .
- الملاحظة في العيادة .

3 ـ خطوات الملاحظة:

يتبع الباحث الذي يستخدم الملاحظة العلمية كأداة لجمع البيانات المطلوبة الخطوات التالية:

أ ـ تحديد أهداف الملاحظة، فقد تكون لأجل وصف السلوك أو تحليله أو تقويمه.

ب ـ تحديد السلوك المراد ملاحظته، لئلا يتشتت انتباه الملاحظ إلى أنماط سلوكية غير مرغوب في ملاحظتها .

جـ ـ تصميم استمارة الملاحظة على ضوء أهداف الملاحظة والسلوك المراد ملاحظته، والتأكد من صدقها وثباتها.

د ـ تدريب الملاحظ في مواقف مشابهة للموقف الذي سيجري فيه الملاحظة فعلاً، وبعد ذلك يقوم الملاحظ بتقويم تجربته في الملاحظة واستمارة الملاحظة .

هـ ـ تحديد الوقت اللازم لإجراء الملاحظة، ولاسيما في تلك الدراسات التي يسمح فيها المبحوث بإجراء الملاحظة أو يكون على علم بإجرائها.

و ـ عمل الإجراءات اللازمة لإنجاح الملاحظة.

ز ـ إجراء الملاحظة في الوقت المحدد مع استخدام أداة معينة في تسجيل البيانات.

4ـ أدوات الملاحظة:

يستعين الباحث بأدوات معينة من أجل جمع البيانات المطلوبة من المبحوثين بصورة دقيقة، ومن هذه الأدوات:

أ ـ المذكرات التفصيلية؛ بقصد فهم السلوك الملاحظ وإدراك العلاقات بين جوانبه. كما يمكن الاستعانة بها في دراسة سلوكيات مشابهة.

ب ـ الصور الفوتوغرافية؛ بقصد تحديد جوانب السلوك الملاحظ كما يبدو في صورته الحقيقية لا كما يبدو أمام الباحث.

جـ ـ الخرائط؛ بقصد توضيح أمور، من مثل: توزيع السكان، وتوزيع المؤسسات الاجتماعية في المجتمع، وأماكن تواجد المشكلات الاجتماعية في البيئات الجغرافية.

د ـ استمارات البحث؛ بهدف استيفاء البيانات المطلوبة عن العناصر الرئيسة والفرعية للسلوك الملاحظ دون غيرها بطريقة موحدة.

هـ ـ نظام الفئات؛ بهدف وصف السلوك الملاحظ بصورة كمية.

و ـ مقاييس التقدير؛ بقصد تسجيل السلوك الملاحظ بطريقة كمية. حيث تنقسم هذه المقاييس إلى رتب متدرجة من الصفر إلى أي درجة يحددها الباحث. إذ تعني درجة الصفر عدم المساهمة في المناقشة، وتعني الدرجة الأخيرة المساهمة الكاملة في المناقشة.

ز ـ المقاييس السوسيومترية؛ بقصد توضح العلاقات الكائنة خلال زمن معين بين المبحوثين بواسطة الرسم.

5 ـ مزايا وعيوب الملاحظة: للملاحظة عدد من المزايا التي تجعلها أداة فعّالة قياساً إلى غيرها من أدوات البحث التربوي. وفي الوقت ذاته لها عيوب، وهي على النحو التالي:

أ . مزايا الملاحظة :

- درجة الثقة في البيانات التي يحصل عليها الباحث بواسطة الملاحظة أكبر منها في بقية أدوات البحث؛ وذلك لأن البيانات يتم التحصل عليها من سلوك طبيعي غير متكلف.
- كمية البيانات التي يحصل عليها الباحث بواسطة الملاحظة أكثر منها في بقية أدوات البحث؛ وذلك لأن الباحث يراقب بنفسه سلوك المبحوثين ويقوم بتسجيل مشاهداته التي تشتمل على كل ما يمكن أن يصف الواقع ويشخصه.

ب . عيوب الملاحظة:

- تواجد الباحث بين المبحوثين له أثر سلبي، يتمثل في إمكانية تعديل سلوكهم من سلوك طبيعي إلى سلوك مصطنع أو متكلف.
- ثقل قيمة الملاحظة في حالة رصد الظواهر المعقدة حتى وإن استخدم الباحث أدوات الملاحظة.
- إمكانية تحيز الباحث عند تسجيله جوانب السلوك المطلوب.
- تأثر السلوك المراد ملاحظته بالعوامل المحيطة به، الأمر الذي يجعل المبحوثين ينهجون سلوكاً غير سلوكهم الطبيعي.
- حاجة الملاحظة إلى الوقت الطويل عند تطبيقها.
- كثيرا ما تخدع الحواس الباحث عن رؤية الأشياء كما حدثت فعلا.
- من المعروف أن هناك بعض الأحداث لا يمكن ملاحظتها مباشرة ، و يمكن الحصول على معلومات بشأنها بواسطة المراسلة أو المقابلة الشخصية ، مثل ذلك ، الحياة الخاصة للأفراد)